هوامش

بينما اختار لها البيزنطيون اسم بوابة كاريسيوس، أطلق الأتراك عليها اسم أدرنة كابي. يقع هذا الحيّ داخل السور القديم لـ «القسطنطينية»، ويضم عدداً من المعالم الأثرية

نصب الفاتح محمد الثاني خيمته امام بوابة ادرنة (Getty)

أدرنة كابي

من هنا دخل الفاتح القسطنطينية

إسطنبول ـ **ياسر غريب**

بعد حصار طويل وقتال عنيف، سقطت القسطنطينية أخيراً في يد العثمانيين. دخلها الجنود الفاتحون من أبوابها المتعددة واحداً تلو الآخر، كان ذلك في يوم 29 مايو 1453. غير أن الفاتح محمد الثاني الذي نُصبت خيمته أمام بوابة أدرنة، اختارها ليدخل منها بموكبه السلطاني إلى قلب المدينة متوجهاً نحو «آيا صوفيا»، ليعلن أن القسطنطينية أصبحت عاصمة للدولة العثمانية! يسميها البيزنطيون بوابة كاريسيوس (Charisius)، أما اسمها التركي المتداول، أدرنة كابي، فيعود إلى أنها تؤدي إلى الطريق الموصل إلى مدينة أدرنة التي ظلّت عاصمة العثمانيين منذ سنة 1363م حتى فتح القسطنطينية. ويقع حيّ أدرنة كابي داخل السور القديم، ويقطعه شارع فوزي باشا التاريخي الذي يصل إلى جامع السلطان محمد الفاتح ومقبرته في قلب إسطنبول.

ويضم الحيّ عدداً من المعالم الأثرية والسياحية إلى جانب البوابة التاريخية، مثل جامع مهرماه سلطان وكنيسة تشورا ومقبرة شهداء أدرنة كابي.

جامع مهرماه

من المساجد العثمانية الشهيرة التي صممها المهندس الشهير «معمار سنان» بأمر من «مهرماه سلطان» (1522-1578م) ابنة السلطان سليمان القانوني، واستغرق إنشاؤه الفترة من 1562 إلى 1565، ويقع على قمة الهضبة السادسة بالقرب من أعلى نقطة في المدينة.

المسجد عبارة عن مكعب تعلوه نصف دائرة، وقبة المسجد قائمة على أربعة أبراج، وفي قاعدة كل برج عدة نوافذ. ويبلغ ارتفاع القبة 37 متراً، وقطرها 20 متراً. وفي المسجد مساحة كبيرة مغطاة بالنوافذ، بعضها مكون من زجاج معشق وملون، وهو من أكثر أعمال معمار سنان إضاءة. زلازل إسطنبول المتعددة أثرت كثيراً في عمارة الجامع، ففي زلزال 1894م تحطمت المئذنة الوحيدة وسقطت على سقف الجامع، وفي زلزال أزميد 1999م تضررت القبة كثيراً، وهو ما اقتضى سلسلة من عمليات الترميم التي جعلت من معظم عناصره المعمارية حديثة العهد باستثناء المنبر الأصلي المنحوت من الرخام الأبيض.

كنيسة تشورا

على مسافة غير بعيدة من جامع مهرماه سلطان، يوجد واحد من أجمل الآثار البيزنطية الباقية، هو كنيسة تشورا أو متحف قعرية، التي تعد واحدة مواقع التراث العالمي لليونسكو. كانت تسمى قديماً كنيسة المخلّص المقدس، ثم تحولت في القرن الـ 16 إلى جامع، ثم تحوّلت سنة 1948م إلى متحف سُمّي متحف (قعرية). وفي هذا العام 2020م تحوّل المتحف إلى مسجد مرة أخرى أسوة بما حدث في «آيا صوفيا». ويضم المبنى عدداً كبيراً من اللوحات الفنية والفسيفساء، وينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: مدخل القاعة أو صحن الكنيسة، الجسم الرئيسي للكنيسة، ومصلى جانبي، وللمبنى ست قباب.

مقبرة الشهداء

هذه المقبرة الخضراء ذات الزهور الملونة الزاهية في أدرنه كابي، التي تشبه الحديقة المنسقة، أصبحت ذات دلالة سياسية حيث تُزار في المناسبات القومية مع تلاوة الآيات القرآنية، بعد أن احتوت على جثامين شهداء الجيش والشعب ممن تصدوا للانقلاب العسكري الفاشل في 15 تموز 2016. تضم المقبرة أضرحة عدد من الشخصيات التاريخية، مثل الشاعر محمد عاكف أرصوي (1873-1936)، والشاعرة ليلى ساز (1850-1936)، والشاعر سليمان نظيف بك «والي بغداد» (1868-1927)، وأحمد توفيق باشا (1845-1936) وهو آخر من شغل منصب الصدر الأعظم سنة 1922، والمنظّر القومي يوسف آقجورا (1876-1935) وغيرهم.

الأبواب العتيقة

إلى جانب الأسوار العتيقة في إسطنبول، لا تزال هناك بوابات أخرى تعود إلى الحقبة البيزنطية، مثل البوابة «الذهبية»، التي كانت تسمى أيضاً «تورين كابي» أو بوابة المراسم، وكان يستخدمها الأباطرة البيزنطيون في أثناء الاحتفالات الرسمية. وبوابة «بلغراد كابي»، التي اكتسبت اسمها من قصة غزو بلغراد، حينما وضعت حولها مجموعة من الأسرى الذين جلبوا إلى إسطنبول بعد غزو بلغراد في عام 1521م. وبوابة «سيليفري كابي» وسميت بذلك لأن طريقها يؤدي إلى مدينة سيلفري، وكانت تستخدم في استقبال تجار الحبوب والأقمشة. وبوابة «مولانا كابي»، التي عرفت في العهد البيزنطي بالبوابة الصادمة، وأصبحت مخصصة في العد العثماني لاستقبال السفراء والضيوف ووداعهم. وبوابة «توبكابي» التي شهدت وضع كرات نارية عليها في أثناء الحصار، وكانت تسمى قبل الفتح بوابة «رومانوس».

باختصار

يقطع الحيّ شارع فوزي باشا التاريخي الذي يصل إلى جامع السلطان محمد الفاتح ومقبرته في قلب إسطنبول.

■■■

على مسافة غير بعيدة من جامع مهرماه سلطان، يوجد واحد من أجمل الآثار البيزنطية الباقية، هو كنيسة تشورا أو متحف قعرية.

■■■

إلى جانب الأسوار العتيقة في إسطنبول، لا تزال هناك بوابات أخرى تعود إلى الحقبة البيزنطية، مثل البوابة «الذهبية»، التي كانت تُسمى أيضاً «تورين كابي» أو بوابة المراسم.

وأخيراً

في عيد ميلاد فيروز

سما حسن

يجب أن تعتذر للسيدة فيروز، إن كنتَ مِن البؤساء الذين صادفهم سؤالٌ في امتحانِ معلوماتٍ عامّة، في واحدةٍ من تلك المسابقات التي تقيمها المدرسة الإعدادية، ضمن نشاطٍ ثقافيٍّ لا منهجي، حيث كان السؤال: مَن هي جارة القمر؟ فلا تعرف الجواب، وربما خمَّنتَ أنه كوكب الزهرة؛ لأنه مؤنث، وكذلك فأنت أكثر بؤسًا، ربما، لأنك قد وُلدت في بيتٍ لا يفتتح صباحاتِه بصوتها، إنما بنشرة الأخبار الصباحية الموجزة، والتي تختتم بالنشرة الجوية؛ لكي يحدِّد الأب عدد القِطَع التي على الصغار ارتداؤها، قبل خروجهم، بصحبته، إلى مدارسهم، ثم يتوجَّه هو إلى مدرسته القريبة. أنت بائسٌ، إذن، يا صاح؛ لأنك اكتشفتَ صوت فيروز متأخِّرًا، ولأنك اكتشفتَ صوتها وحيدًا؛ فلم يهدِ لك حبيب إحدى أغنياتها. وحين مرَّت من شريط عمرك مسافةٌ ليست قصيرة، وأنت تجد نفسك أخيرًا في الكتابة والقراءة، ثم تجد روحك تحلِّق مع صوتها، وتعتمدها وصفةً سحرية، لمن يشكون الضجر الصباحي غير المبرَّر. ولكنَّك يجب أن تكون ممتنًّا للمصادفة التي وضعت أغنياتها، وصوتها المترنِّم، على جدول صباحاتك، بل أصبح افتتاحية الدقائق الأولى، قبل أن يزدحم نهارُك. وهنا تكتشف أنك تسمعه، مع رائحة الحليب على النار، ولو قرَّرتَ أن تلتفت إلى الوراء، فسوف يفور فوق الموقد، وستحتاج لجهد في تنظيفه، وأنت تكون بحاجةٍ لكي تلتفت؛ لأنك تخيَّلت أن قيثارةً قد هبطت من السماء، وباتت تعزف في فراغ مطبخك الضيِّق، ولكن الالتفات مثل حركة الصيَّاد المنتظر لعصفور، منذ زمن، سوف يكلِّفك غاليًا، وكلَّ مرَّة تقع في الحَيْرة نفسها، فيما تؤكِّد للجميع أنك من عُشَّاق أم كلثوم، وتهمس لنفسك «هذا ما وجدنا عليه آباءنا».

صوت أم كلثوم تسمعه على المقاهي، وفي ساعات العصاري بالذات، وحين يجنُّ الليل، وتهيج الشجون، وتتفشَّى الذكريات المحزنة، عن اللوعة والفراق، فلا تجد غير صوتها صدًّا، بكل ما تشعر به، فيما الحبيب الخائن يلتهم شطيرةً ساخنةً، في مكانٍ ما من العالم، ويكفي أن أمَّ كلثوم قد قالت: «يا صبَّاح الخير يا اللي معنا»، ثم تركتك لتعافر، وتجاهد في الحياة، حتى إذا ما اقترب المساء، فهي تتعهَّد بأن تُنسيك النوم، وتنجح في ذلك، بامتياز. مع صوت أم كلثوم، تكتشف أن صوتها ربما كان مسيَّرًا لا مخيَّرًا. أما صوت فيروز فهو مخيَّر لهدف واحد. صوتٌ خالصٌ بلا أسباب، فلا تسأل لماذا غنَّت أغنيها الجديدة، أو أطلقت ألبومها الأخير؛ فلا مناسبة، سوى أن صوتها إنساني، فصوت فيروز يكشف لك سرًّا رهيبًا، أنه يعلمك كيف يعبُر الإنسان الأديانَ والمذاهب، والأجناس والأعراق، وأنه جامعٌ للأضداد، من الشرق والغرب. ولذلك صوتُها صالحٌ للاستخدام، كبداية، حتى لو كنتَ من الذين يستيقظون مع الظهيرة، وحتى لو أصبح برنامجكم اليومي مرتبكًا؛ بفعل كسلٍ غير مفهوم، أو ضجرٍ من روتين، فعليك أن تسمع صوتها. اتركه لكي يفعل مفعوله السحري في روحك، ستجد أن اللوز قد أزهر في روحك، ولن ينتهي مفعول صوتها بسرعة. تخيَّل ذلك، إنه ليس دواء، ولا سحرًا، ولكنه مفتاحٌ بنسخةٍ واحدةٍ لبداياتٍ مطلوبة وواجبة، وسط عفن هذا الزمن الرديء.

> يعلمك صوت فيروز كيف يعبُر الإنسان الأديان والمذاهب، والأجناس والأعراق، وأنه جامعٌ للأضداد، من الشرق والغرب

كما قلت، اكتشاف صوت فيروز، بالنسبة لي، كان متأخِّرًا، وصوت أم كلثوم كان سَيْرًا على نهج أبي الذي جمع كلَّ أسطواناتها، ثم قرَّر أن ينتهج منهجًا جديدًا في الحياة؛ فيبدأ يومه بأخبار السياسة التي «تسمُّ البدن»، وينهيه بطلبات البيت الروتينية، وآخرها «لا تنسى أن تغلق نافذة المطبخ؛ لكي لا تتسلَّل الفئران». ولكنك وحيد، وبقرار جريء، تتمرَّد على كلِّ شيء، وتكتشف صوتها، وتعلن أمام الأب الغالي أن صباحك لا يبدأ، إلا مع فنجان قهوتك وصوتها، فيرفع عيوناته، ويهمهم بكلماتٍ غير مفهومة، ثم يومئ، متفهِّمًا أنك قد كبرت، وصرت حرًّا، وفي ذلك بعض الأسى لك، وله، لا جدال في ذلك.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**